

تفسير السعدي

@ 379 @ من النساء ، والبنين ، والقناطير المقنطرة ، من الذهب ، والفضة ، والخيول المسومة ، والأنعام والحرث . قد صرف رغبته ، وسعيه ، وعمله ، في هذه الأشياء ، ولم يجعل لدار القرار من إرادته ، شيئاً ، فهذا لا يكون إلا كافراً ، لأنه لو كان مؤمناً ، لكان ما معه من الإيمان ، يمنعه أن تكون جميع إرادته للدار الدنيا ، بل نفس إيمانه وما تيسر له من الأعمال ، أثر من آثار إرادته الدار الآخرة . ولكن هذا الشقي ، الذي كأنه خلق للدنيا وحدها ! 2 2 ! أي : نعطيهم ما قسم لهم ، في أم الكتاب من ثواب الدنيا . ! 2 2 ! أي : لا ينقصون شيئاً ، مما قدر لهم ، ولكن هذا منتهى نعيمهم . ! 2 2 ! خالدين فيها أبداً ، لا يفتر عنهم العذاب ، وقد حرموا جزيل الثواب . ! 2 2 ! أي : في الدنيا ، أي ، بطل واضمحل ما عملوه مما يكيدون به الحق وأهله ، وما عملوه من أعمال الخير التي لا أساس لها ، ولا وجود لشرطها ، وهو الإيمان . ^ (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) ^ يذكر تعالى ، حال رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ومن قام مقامه من ورثته القائمين بدينه ، وحججه الموقنين بذلك ، وأنهم لا يوصف بهم غيرهم ولا يكون أحد مثلهم فقال : ^ (أفمن كان بينة من ربه) ^ بالوحي الذي أنزل الله فيه المسائل المهمة ، ودلائلها الظاهرة ، فتيقن تلك البينة . ! 2 2 ! أي : يتلو هذه البينة والبرهان ، برهان آخر ! 2 2 ! وهو شاهد الفطرة المستقيمة ، والعقل الصحيح حين شهد حقيقة . ما أوحاه الله وشرعه ، وعلم بعقله حسنه ، فازداد بذلك إيماننا إلى إيمانه . ^ (و) ^ ثم شاهد ثالث ! 2 2 ! وهو ! 2 2 ! التوراة ، التي جعلها الله ! 2 2 ! للناس ! 2 2 ! لهم ، يشهد لهذا القرآن بالصدق ، ويوافقه فيما جاء به من الحق . أي : أفمن كان بهذا الوصف ، قد تواردت عليه شواهد الإيمان ، وقامت لديه أدلة اليقين ، كمن هو في الظلمات والجهالات ، ليس بخارج منها ؟ لا يستوون عند الله ، ولا عند عباد الله ، ! 2 2 ! أي : الذين وفقوا لقيام الأدلة عندهم ، ! 2 2 ! أي : بالقرآن حقيقة ، فيثمر لهم إيمانهم ، كل خير في الدنيا والآخرة . ! 2 2 ! أي : سائر طوائف أهل الأرض ، المتحزبة على رد الحق ، ! 2 2 ! لا بد من وروده إليها ! 2 2 ! أي : في أدنى شك ! 2 2 ! إما جهلا منهم ، وضللا ، وإما ظلما وعنادا ، وبغيا ، وإلا فمن كان قصده حسنا ، وفهمه مستقيما ، فلا بد أن يؤمن به ، لأنه يرى ما يدعوه إلى الإيمان من كل وجه . ^ (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على

ربهم ألا لعنة الله على الظالمين * الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم
كافرون * أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم
العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون * أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل
عنهم ما كانوا يفترون * لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون) ^ يخبر تعالى أنه لا أحد ! 2
! ويدخل في هذا ، كل من كذب على الله ، بنسبة شريك له ، أو وصفه بما لا يليق بجلاله ،
أو الإخبار عنه ، بما لم يقل ، أو ادعاء النبوة ، أو غير ذلك من الكذب على الله . فهؤلاء
أعظم الناس ظلما ! 2 ! 2 ! ليجازيهم بظلمهم ، فعندما يحكم عليهم بالعقاب الشديد ! 2 2
! أي : الذين شهدوا عليهم بافتراءهم وكذبهم : ! 2 2 ! أي : لعنة لا تنقطع ، لأن ظلمهم
صار وصفا لهم ملازما ، لا يقبل التخفيف . ثم وصف ظلمهم فقال : ! 2 2 ! فصدوا بأنفسهم عن
سبيل الله ، وهي سبيل الرسل ، التي دعوا الناس إليها ، وصدوا غيرهم عنها ، فصاروا أئمة
يدعون إلى النار . ! 2 2 ! أي : سبيل الله ! 2 2 ! أي : يجتهدون في ميلها ، وتشيينها ،
وتهجينها ، لتصير عند الناس ، غير مستقيمة ، فيحسنون الباطل ويقبحون الحق ، قبحهم الله !
22 ! . ! 2 2 ! أي : ليسوا فائتين الله ، لأنهم تحت قبضته ، وفي سلطانه . ! 2 2 !
فيدفعوا عنهم المكروه ، أو حصلوا لهم ما ينفعهم ، بل تقطعت بهم الأسباب . ! 2 2 ! أي :
يغلظ ويزداد ، لأنهم ضلوا بأنفسهم ، وأضلوا غيرهم . ! 2 2 ! أي : من بغضهم للحق ،
ونفورهم عنه ، ما كانوا يستطيعون أن يسمعوا بآيات الله ، سماعا ينتفعون به ! 2 ! ، ! 2
2 ! أي : ينظرون نظر